

مقاله

بقلم الدكتور ناجي م. قزيلي*

البابا فرنسيس في البحرين: لبنان وجعي وسيعود إلى عظمته وهذه ثلاثية الحياة



هي المرة الثانية لحبر اعظم في الخليج، وقد شاءها البابا فرنسيس ان لا تكون مجرد زيارة انما انبثاق من العمق للقاء الآخر... وبناء زمن تلاق معه، متحرر من نير الحدود التي اعتلت جدراننا. فيضه، شركة ميراث لا تقوى عليه الحروب، التي تبدهه لتنهيته.

"نحن في حرب عالمية ثالثة... مجزأة!" عبارة ردها البابا فرنسيس في اكثر من موقع ومناسبة. مقصدها ان مصير الانسانية على المحك. هو سارع فبادر. وكانت لقاءاته مع العالم العربي والاسلامي: من مصر ومحاضراته في الازهر الشريف (نيسان 2017)، الى الامارات حيث وقع وسماحة شيخ الازهر الشريف الدكتور احمد الطيب "وثيقة الاخوة الانسانية من اجل السلام العالمي والعيش معا" (شباط 2019) فالعرب (آذار 2019). ومن العراق المكلم ولقائه التاريخي مع آية الله العظمى سماحة السيد علي الحسيني السيستاني في النجف الاشرف (اذار 2021)، الى... مملكة البحرين اليوم (تشرين الثاني 2022). وهل ننسى محطته الاولى في الاراضي المقدسة (ايار 2014)؟

لكنه في المملكة... كان معه لبنان.

لبنان - العبور من مثنى الموت الى ملكوت الحياة.

"لبنان وجعي، لأن لبنان في ذاته هو أكثر من بلد على ما قاله احد الباباوات من اسلافي. هو أكثر من بلد، انه رسالة. ولبنان بالنسبة الينا جميعا له معنى عظيم!" قالها البابا فرنسيس على متن طائرة العودة من البحرين الى روما، فأعاد واستعاد كم ذاق هذا الوطن بانسانيته المتخنة بالجراح تجارب الانسانية حتى ثمالة الموت.

لكن البابا صرخ لكل أن ومكان: "لبنان يعاني حاليا، وانا اصلي له... لكيما يتوقف انحداره ويستعيد عظمته!"

اجل! قالها ايضا البابا الاتي من المقلب الآخر للارض: لبنان رفيق اوجاعه لن يبقى مرميا في وحشة الالم. انه رجاء الحياة الذي وان تلاشت بعض مظاهرها فيه، الا انه يبقى سر الجاذبية الى اللازوال. هو المستحق للحياة واستحقاقاتها.

أقول: فيه تقييم الحياة، لأن لا موت يغلبه؟

الى ذلك سبقه البابا يوحنا - بولس الثاني، القديس، "حبيب الشعب اللبناني" الذي رأى في عظة قداس افتتاحه السينودس الخاص لأجل لبنان (26 تشرين الثاني 1995) الذي كان هو من دعا اليه الكنيسة الجامعة، لبنان "اورشليم الجديدة": مدينة السلام الحقيقية: الخليفة الجديدة بأنوار الحق... فلا تقوى عليها ظلامه بعد، مهما عربدت ظلمات وعصت مواض وتعاقبت حواضر بالسقطات.

قد تكون في تلك الكثافة للبنان ومعناه، ابعاد من ايمان. لكن البابا فرنسيس، اراد منها، وتحديدا في ختام زيارته الى البحرين، الانطلاق

نشهد بقلق، وعلى نطاق واسع، ازدياد اللامبالاة والتهم المتبادلة، وتوسع الخصومات والصراعات التي حسنا يوما اننا تغلبنا عليها، والشعبوية والتطرف والامبريالية التي تهدد سلامة الجميع".

سند ثلاثية الحياة الاول، بحسب الرؤية الفرنسية: العيش معا، باحترام التعددية لمواجهة شعبيات الانعزال. وثمره هذا السند: الاخوة.

وفي ثانياة كلماته البحرينية، وكانت في اختتام "منتدى البحرين للحوار: الشرق والغرب من اجل العيش الانساني معا"، يقول الاب الاقدس: "كل نوع من الاكراه يتنافى مع جلال الله وقدرته، لأن الله لم يسلم العالم الى عبيد، بل الى مخلوقات حرة، يحترمها احتراما كاملا. لذلك، نلتزم، حتى تكون حرية المخلوقات مرآة لحرية الخالق العظمى، وتكون الصلاة محمية لا يوضع امامها اي عائق. ولا يكفي ان تمنح التصاريح والاعتراف بحرية العبادة، بل من الضروري ان نصل الى تحقيق الحرية الدينية الحقيقية. وليس كل مجتمع فقط، بل كل معتقد مدعو الى ان يتحقق من نفسه في ذلك، انه مدعو الى ان يسأل نفسه هل يفرض قيودا من الخارج على خلايق الله، ام يحررها من الداخل؟ هل يساعد الانسان على ان ينبذ التصلب، والانغلاق والعنف، وهل يزيد في المؤمنين الحرية الحقيقية، التي لا تقوم بأن تفعل ما يبدو لك ويسرك، بل ان نعد انفسنا لعمل الخير الذي خلقنا الله له".

يضيف: "وان تفاوضت قوى مختلفة في ما بينها من اجل المصالح، والمال، واستراتيجيات السلطة، لنبين نحن ان هناك طريقا آخر ممكنا للقاء. وهو ممكن وضروري، لأن القوة والسلاح والمال لن تصنع مستقبل سلام اطلاقا. لنلتق اذا من اجل خير الانسان وباسم من احب الانسان، الذي اسمه سلام. لنشجع المبادرات العملية، حتى تكون مسيرة الايمان الكبرى دائما فعالة وثابتة اكثر، لتكن ضمير سلام للعالم!".



سند ثلاثية الحياة الثاني، بحسب الرؤية الفرنسية: الحرية التي تقتضي الحقيقة وترفض استخدام الدين لعنف او لقمع. وثمره هذا السند: الضمير.

وفي ثالثة كلماته البحرينية، وكانت في اللقاء مع مجلس حكماء المسلمين، يقول البابا: "لنتعرف بعضنا على بعض، ولنود بعضنا بعضا، ولنقدم الواقع على الافكار والناس على الاراء، والانفتاح على السماء قبل المسافات على الارض: لنتغلب على الاحكام المسبقة وسوء الفهم في التاريخ، باسم من هو ينبوع السلام... كيف يتمكن المؤمنون من مختلف الديانات والثقافات من العيش معا، والترحيب واحترام بعضهم بعضا ان بقينا غرباء بعضنا عن بعض؟ لنسترد بقول الامام علي: "الناس صنفان، اما اخ لك في الدين، او نظير لك في الخلق"، ولنشعر بأننا مدعوون لرعاية كل من وضعهم المخطط الالهي الى جنبنا في العالم".

يضيف: "قلب مخطط الله الرائع للانسان، تصميم متناغم قادر على معانقة الخليفة كلها. لكن الانسان ابتعد عن الخالق وعن النظام الذي وضعه. من هنا نشأت المشاكل والاختلالات: مخاصمات بين الاخوة وقتل (تكوين 4)، اضطرابات بيئية ودمار (تكوين 6-9)، كبرياء وصراعات في مجتمع البشر (تكوين 11). وباختصار، طوفان شر وموت تدفق من قلب الانسان، ومن شرارة الخبث التي اطلقها ذلك الشر الجاثم عند باب القلب (تكوين 4، 7) لكي يضرم النار في حديقة العالم".

سند ثلاثية الحياة الثالث، بحسب الرؤية الفرنسية: المعرفة الحقيقية لذواتنا ولبعضا البعض، لكيما يفيض العمق كما ينبوع الحي. وثمره هذا السند: تناغم البشرية مع الله.

ها قد حان اوان اجابتي عن سؤالي: اجل! ليس الا من لبنان ثلاثية الحياة للعالم، على ما ارساها وفصلها البابا فرنسيس، بهذا الصفاء القادر ان يخاطب من في الكنيسة، ومن في المسجد، ومن في الحسينية، ومن في الخلوة، ومن في اللاموقع عبادة. انه مبسوط على المسيحية، لكن بها يحاور الاوتي.

ولئن حرم تعلق السياسيين اللبنانيين بمصالحهم الشخصية التي تعيق رؤيتهم لله وللوطن، قداسته من المجيء الى لبنان (على ما المح تكرارا) لتتجلى فيه رسالة لرسالة، فانه جعل من لبنان تصاعد تاريخ الى حاضر اغنى ومستقبل اسمى.

بهذا اللبنا الذي يقصده قداسته ضمنا، ويعنيه، ويفنده، حيثما يحل، تكتمل شمولية اورشليم الجديدة على مدى ما يحل انسان ويتمجد به الله...

وفي عودة الى بدء، يختم البابا فرنسيس اولي كلماته بالاعتراف - المنطلق: "انا هنا مؤمن ومسيحي وانسان وحاج سلام، لأننا اليوم مدعوون، في كل مكان، الى ان نلتزم بجدية من اجل السلام".

* خبير في شؤون الكرسي الرسولي